

معالم الحياة الاجتماعية الآمنة كما يراها الإمام النورسي

رضوان جمال يوسف الأطرش*

*بروفيسور في قسم دراسات القرآن والسنة – كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية – الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا.

*Professor in the Department of Qur'an and Sunnah Studies - Abdul Hamid Abu Sulaiman College of Revealed Knowledge and Human Sciences - International Islamic University Malaysia.

E-mail:

radwan@iiu.edu.my

Orcid:

000-0003-4603-4997

Received: November 10, 2025

Accepted: December 27, 2025

Published: January 31, 2026

Citation:

Elatrash, Radwan, "Features of Secure Social Life as Seen by Ustadh al-Nursi", Istanbul, The Journal of Risale-i Nur Studies 9:1 (2026),120-144

المستخلص

يتناول هذا البحث معالم الحياة الاجتماعية كما يراها الإمام النورسي، حيث يبرز مشكلة الفوضى والانقسام التي تهدد المجتمعات في عصرنا، ويقترح هدفاً رئيساً يتمثل في بناء حياة اجتماعية آمنة ومستقرة من خلال تطبيق خمسة أسس ثابتة هي: الاحترام المتبادل، الشفقة والرحمة، الابتعاد عن الحرام، الحفاظ على الأمن، ونبذ الفوضى والغوغائية بالدخول في الطاعة. وقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي والتحليلي في دراسة هذه المبادئ في ضوء رسائل النور، التي استطاعت خلال عشرين عاماً أن تخرج مئات الآلاف من الأعضاء النافعين للبلاد والعباد دون أن يتضرر بهم أحد، مما يؤكد فاعلية هذه المبادئ. وتوصلت الدراسة إلى نتيجتين أساسيتين: الأولى أنّ هذه الأسس الخمسة تمثل حجر الأساس لأمن البلاد واستقرارها، والثانية أنّ عقيدة الآخرة هي الركيزة الكبرى للحياة الاجتماعية والفردية وسعادة الإنسان وكماله. ويوصي البحث بضرورة إعادة إحياء هذه المبادئ في واقع المجتمعات المعاصرة وتفعيلها تربويًا واجتماعيًا، حيث ينعكس أثرها الإيجابي في تحقيق السلم الأهلي، وتعزيز الثقة بين أبناء المجتمع، وصناعة مواطن صالح يسهم في وحدة الأمة ونهضتها.

الكلمات المفتاحية: معالم، الحياة الاجتماعية، فكر، الإمام سعيد النورسي.

Features of Secure Social Life as Seen by Imam al-Nursi

Abstract

This study explores the features of social life as envisioned by Said Nursi, highlighting the pressing challenges of disorder and disunity that threaten contemporary societies. It advances a central objective: the establishment of a safe and stable social order through the implementation of five fundamental principles—mutual respect, compassion and mercy, abstention from the unlawful, preservation of security, and the rejection of chaos and anarchy through adherence to lawful obedience. Employing an inductive and analytical methodology, the study examines these principles in light of *Risale-i Nur*, which, over the course of two decades, succeeded in producing hundreds of thousands of individuals who served both society and the state without causing harm, thereby affirming the effectiveness of these principles. The study concludes with two key findings: first, that these five principles constitute the cornerstone of national security and societal stability; and second, that belief in the Hereafter serves as the ultimate foundation of both social and individual life, ensuring human happiness and perfection. The study recommends the revival and practical application of these principles in modern contexts—educationally and socially—so as to foster civil peace, strengthen trust among members of society, and cultivate virtuous citizens who contribute to the unity and advancement of the Muslim ummah.

Keywords: Features, Social life, Thought, Said Nursi.

مقدمة

الحياة الاجتماعية في المنظور الإسلامي هي منظومة التفاعلات والعلاقات التي تنشأ بين أفراد المجتمع الواحد، وتنظمها قيم مشتركة وعادات وأعراف وقوانين، بحيث يعيش الناس متعاونين ومتآلفين في إطار من الحقوق والواجبات المتبادلة. وبعبارة أخرى: هي صورة العيش الجماعي للإنسان مع غيره، حيث لا ينعزل بمفرده، بل يتبادل مع الآخرين المصالح والمنافع، ويشاركهم الأفراح والأتراح، ويُسهّم معهم في بناء مجتمع يقوم على المودة والعدل والتكافل. وبالتالي فهي ليست مجرد تجمع بشري أو تفاعل عارض بين الأفراد، بل هي بناء متكامل يقوم على أسس راسخة تستمدّ شرعيتها من الوحي، وتستمدّ فاعليتها من التجربة الإنسانية المؤمنة.

وقد أولى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هذه الحياة عناية بالغة بتوجيه المجتمع نحو قيم العدل والتعاون والرحمة، بوصفها الضمانة الكبرى لاستقرار العمران الإنساني وازدهاره؛ فقال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103]، فجعل الوحدة الاجتماعية من أعظم مقاصد الدين، وحذّر من التنازع المؤدي إلى الضعف والانهيار بقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46]. كما أكد النبي ﷺ على حقوق المسلم على أخيه، فقال في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَكُنُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْدُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَا هُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ». (مسلم، رقم الحديث: 2564) لتكون الأخوة الدينية قاعدة في التعامل الاجتماعي، ترفع الحواجز وتبني جسور الثقة والرحمة. يقول الجاحظ: إن الحياة الاجتماعية، إذا كثر فيها الحسد غدت جحيما لا يطاق، لذا نزع الله من اهل الجنة الغل والحسد ليوفر لهم الحياة الهانئة السعيدة. (الجاحظ، 1423:16)

يقول العلامة سعيد النورسي رحمه الله: إن خدمة القرآن الكريم هي التي منعّني بشدة عن عالم السياسة بل أنستني حتى التفكر فيها. وإلا فإن تاريخ حياتي كلّها تشهد بأن الخوف لم يكبلني ولا يمنعني في مواصلة

سيرى فيما أراه حقاً. ثم ممّ يكون خوفي؟ فليس لي مع الدنيا علاقة غير الأجل، إذ ليس لي أهلٌ وأولاد أفكر فيهم، ولا أموال أفكر فيها، ولا أفكر في شرف الأوصال والحسب والنسب. ورحم الله من أعان على القضاء على السمعة الاجتماعية التي هي الرياء والشهرة الكاذبة. (النورسي، 1992:59)

تُظهر هذه الفقرة جانباً مهمّاً من معالم الحياة الاجتماعية الآمنة عند الشيخ سعيد النورسي، إذ تكشف عن تحرره من الضغوط الاجتماعية والسياسية التي قد تُقيد الفرد وتدفعه إلى التصرف بدافع الخوف أو الطمع. فقد جعل خدمة القرآن الكريم محور حياته، حتى صرفته عن التفكير في السياسة ومطامعها، مبيّناً أن استقلاله عن الأهل والمال والجاه والسمعة الاجتماعية الكاذبة منحه أماناً داخلياً وحصانة أخلاقية من الابتزاز أو التأثير الخارجي.

هذا الموقف يعكس ركيزة أساسية للحياة الاجتماعية الآمنة في فكر النورسي، وهي أن الأمن الحقيقي ينبع من الارتباط بالقيم العليا (كخدمة الوحي) لا بالمصالح الدنيوية الزائلة، مما يؤدي إلى مجتمع لا تحكمه المصالح الفردية الضيقة ولا يُستغل فيه الدين لأغراض سياسية أو شخصية. وبالتالي، تبرز الفقرة نموذجاً عملياً لرؤيته في بناء مجتمع يسوده الصدق والإخلاص والحرية من الرياء والخوف الاجتماعي.

وفي خضمّ التحديات التي واجهتها المجتمعات الإسلامية الحديثة من تفكك وصراعات، برز فكر الإمام سعيد النورسي (1877-1960م) كأحد أبرز المشاريع الإصلاحية التي سعت إلى إعادة صياغة الحياة الاجتماعية على ضوء مبادئ القرآن والسنة. فقد رأى النورسي أن الانقسام والفوضى هما أبرز مظاهر الخلل في المجتمعات، وأنّ البناء الاجتماعي السليم لا يستقيم إلا بتأسيس حياة آمنة ومستقرة تقوم على قواعد أخلاقية وروحية متينة. وقد لخصّ هذه الأسس في خمسة مرتكزات كبرى هي: الاحترام المتبادل، الشفقة والرحمة، الابتعاد عن الحرام، الحفاظ على الأمن، ونبذ الفوضى والغوغائية من خلال الطاعة والانضباط. وهذه المبادئ ليست طارئة، بل هي مستمدة من جوهر الوحي الإلهي ومقاصده في تنظيم العلاقات الإنسانية.

فلاحترام المتبادل هو انعكاس لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: 13]، حيث يقرر القرآن مبدأ المساواة الإنسانية

ويجعل معيار التفاضل هو التقوى. أما الشفقة والرحمة فهي ترجمة عملية لقوله سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156]، ولقول النبي ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». (الترمذي، رقم الحديث: 1924) وأما الابتعاد عن الحرام فهو ضرورة لصيانة المجتمع من الانحلال والفساد. مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ [الأنعام: 151]. ولذلك يرى الإمام النورسي أن الحياة الاجتماعية هي مجرد بستان مؤقت؛ أوجده الله تعالى في وسط الطريق للمجتمع البشري والحضارة الإنسانية، والتي يوجد فيها الخيرُ والشرُّ والطيب والخبيث والظاهر والقدر معاً. (النورسي، 2000:36)

ومن جهة أخرى، فإن الحفاظ على الأمن هو غاية أساسية للشريعة، وقد جاء في الحديث الشريف: «من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا». (الترمذي، رقم الحديث: 2346) فالأمن شرط أولي لقيام الحياة الإنسانية الكريمة، ولا تتحقق التنمية والنهضة بدونه. أما نبذ الفوضى والغوغائية والدخول في الطاعة المنضبطة، فهو مبدأ أكده الشرع في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59]. إذ الطاعة المشروعة تعني ضبط حركة المجتمع في إطار النظام والعدالة، بعيداً عن الانفلات الذي يقود إلى الهلاك.

وما يميز رؤية النورسي أنه لم يقدم هذه المبادئ في صيغة تنظير مجرد، بل جسدها في مشروع عملي هو رسائل النور، التي استطاعت خلال عقود قليلة أن تخرّج مئات الآلاف من الأفراد الصالحين النافعين للمجتمع، دون أن يتضرر بهم أحد، وهو ما يعكس قدرة هذه المبادئ على إعادة صياغة الوعي الجمعي وتأسيس حياة اجتماعية متوازنة من خلال زرع الخوف من النار في نفوسهم، فالنورسي يرى أن عقيدة الآخرة هي أس الأساس لحياة الإنسان الاجتماعية والفردية، وأساس جميع كمالاته ومثله وسعادته. ثم جاء بأدلة اخترت منها الدليل الثالث وهو الشباب والمراهقين الذين يمثلون محور الحياة الاجتماعية لا يهدئ فورة مشاعرهم، ولا يمنعهم من تجاوز الحدود إلى الظلم والتخريب، ولا يمنع طيش أنفسهم ونزواتها، ولا يؤمن السير الأفضل في علاقاتهم الاجتماعية إلا الخوف من نار جهنم. فلولا هذا الخوف من عذاب جهنم لقلّب هؤلاء المراهقون الطائشون الثملون بأهوائهم الدنيا إلى جحيم تتأجج على الضعفاء والعجائز، حيث «الحكم للغالب» ولحوّلو الحياة الإنسانية السامية إلى حياة حيوانية سافلة. (النورسي، 2000:105) ومن هنا تتأكد الحاجة المعاصرة إلى استعادة هذه القيم

وتفعيلها تربويًا واجتماعيًا، بما يضمن بناء مجتمع يقوم على السلم الأهلي، وتعزيز الثقة بين أفرادها، وصناعة مواطن صالح يسهم في وحدة الأمة ونهضتها.

الأهمية العلمية:

تتجلى الأهمية العلمية لهذا البحث في كونه يسهم في الكشف عن أسس ومعالج الحياة الاجتماعية الآمنة كما يراها الإمام النورسي، ويبرز دورها في معالجة أزمات المجتمعات المعاصرة التي تعاني من التفكك والفوضى وفقدان الأمن. إذ يقدم البحث قراءة تحليلية لفكر النورسي من خلال رسائل النور، موضحة كيف استلهمت هذه المبادئ من الوحي، وجُربت عمليًا فأثمرت نماذج إنسانية راقية خدمت المجتمع دون أن تضر به. ومن ثم يثري البحث الدراسات القرآنية والفكرية المعاصرة بمادة أصيلة تربط بين النصوص الشرعية والتجربة الواقعية، وتفتح المجال لمزيد من الأبحاث حول تطبيق القيم الإيمانية في الاجتماع الإنساني.

الأهمية العملية:

أما الأهمية العملية فتتمثل في أن المبادئ الخمسة التي عرضها الإمام النورسي – الاحترام المتبادل، الشفقة والرحمة، الابتعاد عن الحرام، الحفاظ على الأمن، والطاعة المنضبطة في مواجهة الفوضى – ليست مجرد قيم مثالية، بل هي قواعد قابلة للتطبيق في التربية، والبرامج الاجتماعية، والسياسات المجتمعية. وقد برهنت التجربة النورية على إمكانية تحويل هذه المبادئ إلى واقع عملي ينتج مواطنين صالحين يحفظون الأمن والسلم الأهلي ويعززون الثقة بين أبناء المجتمع. ومن هنا، فإن استلهام هذه الرؤية يسهم مباشرة في ترسيخ الاستقرار، وبناء مجتمع متماسك، وإعداد جيل شبابي منضبط وواعٍ بمسؤولياته تجاه أمته وحضارته.

مشكلة البحث:

تعيش المجتمعات المعاصرة حالة من التوتر والاضطراب في علاقاتها الاجتماعية؛ حيث تفتت الأبنية المفرطة، وتراجع الإحساس بالمسؤولية المشتركة، وضعفت الروابط الأخلاقية التي تحفظ للأفراد والمجتمعات أمنهم وسلامهم. وقد انعكس ذلك في مظاهر التفكك الأسري، وانتشار العنف، وغياب ثقافة الرحمة والتعاون، مما جعل

قضية البحث عن معالم الحياة الاجتماعية الآمنة مطلبًا ملغًا للإنسانية جمعاء. ومن هنا تبرز مشكلة هذا البحث: كيف يمكن استلهام رؤية الإمام بديع الزمان سعيد النورسي في بناء حياة اجتماعية آمنة، قوامها الاحترام المتبادل، والرحمة، وضبط السلوك وفق قيم الشرع، وحماية الأمن من الفوضى، بما يساهم في معالجة التحديات المعاصرة؟ إن هذه المشكلة لا تقتصر على بعدها النظري فحسب، بل تتعداه إلى الجانب العملي التطبيقي، إذ إن الفكر النورسي يمثل مشروعًا إصلاحيًا يزوج بين القيم الدينية والتجربة الواقعية، وي طرح حلولًا عملية قابلة للتنفيذ في الميدان التربوي والاجتماعي.

أسس الحياة الاجتماعية الراسخة الآمنة في فكر الإمام النورسي:

في زمن عجيب كزماننا هذا، لا بد من تطبيق خمسة أسس ثابتة، حتى يمكن إنقاذ البلاد وإنقاذ الحياة

الاجتماعية بأبنائها من الفوضى والانقسام. وهذه المبادئ هي:

المبدأ الأول: الاحترام المتبادل:

يُعدّ الاحترام المتبادل من أهمّ القيم التي يقوم عليها كيان المجتمع السليم، فهو الضابط الذي يحكم العلاقات بين الأفراد، ويُعطي كلّ إنسان مكانته وحقوقه من غير انتقاص أو تجاوز. فإذا شاع الاحترام بين الناس، ساد التقدير المتبادل، وغابت مظاهر التكبر والازدراء، وحلّت محلّها روح المودة والتعاون. فالاحترام ليس مجرد سلوك خارجي، بل هو انعكاس لوعي داخلي يُدرك قيمة الإنسان، وكرامته التي منحها الله له. ومن هنا يصبح الاحترام المتبادل معلمًا بارزًا من معالم الحياة الاجتماعية، يضمن التواصل الراقي بين الناس، ويُعزّز روابط الثقة والأمان فيما بينهم، ويُساهم في استقرار المجتمع وتقدمه. وقد جاء الإسلام ليؤصّل هذه القيمة في النفوس، فأمر باحترام الكبير ورحمة الصغير، وبتوقير العلماء وأهل الفضل، كما أمر بحفظ حقوق الجار، والتعامل مع الناس جميعًا بخلق كريم. وهكذا يتحوّل الاحترام المتبادل إلى قاعدة اجتماعية راسخة، لا تقوم حياة جماعية متماسكة إلا بها.

يضاف إلى ما تقدم، فإن الحياة العائلية هي مركزُ تجمع الحياة الدنيوية ولولها وهي جنّة سعادتها وقلعُها الحصينة وملجأها الأمين. وأن بيت كل فرد هو عالمه ودينه الخاصة. فلا سعادة لروح الحياة العائلية إلا بالاحترام المتبادل الجاد والوفاء الخالص بين الجميع، والرأفة الصادقة والرحمة التي تصل إلى حد التضحية والإيثار. ولا يحصل هذا الاحترام الخالص والرحمة المتبادلة الوفيّة إلا بالإيمان بوجود علاقات صداقة أبدية، ورفقة دائمة، ومعية سرمدية، في زمن لا نهاية له، وتحت ظل حياة لا حدود لها، تربطها علاقات أبوة محترمة مرموقة، وأخوة خالصة نقية، وصداقة وافية نزيهة، حيث يحدث الزوج نفسه: «إن زوجتي هذه رفيقة حياتي وصاحبتني في عالم الأبد والحياة الخالدة، فلا ضير إن أصبحت الآن دميمة أو عجوزاً، إذ إن لها جمالاً أبدياً سيأتي، لذا فأنا مستعد لتقديم أقصى ما يستوجبه الوفاء والرأفة، وأضحى بكل ما تتطلبه تلك الصداقة الدائمة».. وهكذا يمكن أن يكنّ هذا الرجل حياً ورحمة لزوجته العجوز كما يكنّ للحوار العين. وإلا فإن صحبةً وصداقة صورية تستغرق ساعة أو ساعتين ومن ثم يعقهما فراق أبدي ومفارقة دائمة لبي صحبة وصداقة ظاهرية لا أساس لها ولا سند. ولا يمكنها أن تعطي إلا رحمةً مجازية، واحتراماً مصطنعاً، وعطفاً حيوانياً المشاعر، فضلاً عن تدخّل المصالح والشهوات النفسانية وسيطرتها على تلك الرحمة والاحترام فتقلب عندئذ تلك الجنّة الدنيوية إلى جحيم لا يطاق (النورسي، 2000:105).

مناقشة وتحليل للمبدأ الأول:

يضع الإمام النورسي الحياة العائلية في صميم الحياة الاجتماعية، فيعتبرها مركز تجمع الحياة الدنيوية ولولها، وجنة سعادتها وقلعها الحصينة. ومن هذا المنطلق، يقدم رؤية متكاملة تمزج بين الأبعاد التربوية والنفسية والاجتماعية، بحيث يصبح البيت عالماً خاصاً للفرد وموئلاً للاستقرار والسكينة. وكلام الإمام النورسي يمكن اختصاره من خلال النقاط الآتية:

أولاً: الأسرة منطلق التربية الاجتماعية في رؤية النورسي

يرى العلامة النورسي أن التربية الاجتماعية السليمة تبدأ من داخل الأسرة، عبر ترسيخ الاحترام المتبادل والوفاء الخالص والرأفة الصادقة. وهو يربط هذه القيم برؤية أخوية تجعل العلاقة الزوجية ممتدة إلى حياة

أبدية، فيغدو الوفاء والإيثار ليس مجرد خلق دنيوي، بل التزامًا تربويًا متجذرًا في الإيمان. وبهذا يغرس في النفوس قيمة الرحمة المستمرة التي تتجاوز حدود المصلحة اللحظية لتصبح قاعدة للتنشئة الأخلاقية والاجتماعية.

ثانيًا: الأسرة مصدر الاستقرار النفسي في منظور النورسي

يُبرز النورسي أثر الأسرة الصالحة في بناء الاستقرار النفسي والعاطفي للفرد، حيث يجد كل واحد في بيته عالمه الخاص وانتماءه الأصيل. كما يعالج بُعدًا نفسيًا دقيقًا يتعلق بالخوف من الشيخوخة أو فقدان الجمال، فيؤكد أن الجمال الأبدي الحقيقي ينتظر الإنسان في الدار الآخرة، مما يخفف من التوترات النفسية ويعزز القبول والرضا. ويُفرق بوضوح بين الرحمة الصادقة المنبثقة من الإيمان، والرحمة المصطنعة التي تحكمها الشهوات والمصالح، وهي تمييز نفسي عميق يحصن الفرد من الاضطراب الداخلي.

ثالثًا: الأسرة أساس تماسك المجتمع في رؤية النورسي

يقدم النورسي الأسرة بوصفها اللبنة الأولى للمجتمع، فإذا بُنيت على الوفاء والرحمة والإيمان، انعكس ذلك على صلات المجتمع الأوسع من صداقة وجوار وتعاون. كما يحذر من خطورة العلاقات القائمة على الشهوة والمصلحة، التي تؤدي إلى تفكك الأسرة ومن ثم إلى تفكك المجتمع بأسره. ومن هنا يصف النورسي البيت الملتزم بالقيم بأنه جنة دنيوية، بينما يتحول البيت الخالي من الرحمة والإيمان إلى جحيم اجتماعي لا يطاق.

الخلاصة

من خلال هذا الطرح، يضع النورسي أسسًا للحياة الاجتماعية تقوم على التكامل بين التربية الإيمانية والصحة النفسية والاستقرار الاجتماعي. فالأسرة التي تُبنى على الوفاء والإيثار والرحمة الصادقة هي النموذج الذي يحفظ للمجتمع تماسكه، ويجعل من القيم الأخروية سندًا للسلوك الدنيوي. وهكذا تصبح رؤية النورسي مرجعًا في بيان أن إصلاح الحياة الاجتماعية يبدأ من إصلاح الحياة العائلية في ضوء الإيمان والتزكية الروحية.

المبدأ الثاني: الشفقة والرحمة:

إنَّ الشفقة والرحمة مبدآن عظيمان جعلهما الإسلام ركيزَةً في بناء العلاقات الإنسانية، وأساسًا متينًا للحياة الاجتماعية السوية. فالمجتمع الذي تُسوده الرحمة وتَتغلغل في نفوس أفرادها الشفقة، هو مجتمع متماسك، تسوده الطمأنينة وتغيب عنه مظاهر القسوة والظلم. فالرحمة ليست مجرد خُلق فردي أو عاطفة عابرة، بل هي نظام اجتماعي متكامل يُنظّم التعامل بين الناس، ويُشيع بينهم روح التعاون والإحسان، ويضمن حقوق الضعفاء والفقراء. ومن ثمَّ، فإنّها تُعدّ مَعْلَمًا أساسيًا من معالم الحياة الاجتماعية، تُبنى به جسور الثقة، وتُصان به وحدة المجتمع، ويُحفظ به أمنه واستقراره. وقد جعل الإسلام هذه القيمة الإيمانية سِمة بارزة في شخصية المسلم، فدعا إلى الرحمة بالطفل واليتيم، وبالمحتاج والمظلوم، بل وحتى بالحيوان والبيئة. وهكذا تتحول الشفقة والرحمة إلى ثقافة عامة تُغذي ضمير الفرد، وتُضيء مسار الجماعة، وتُرسخ مكانة المجتمع في مدارج الإنسانية الرفيعة. يقول الإمام سعيد النورسي: كما أن الطفل الرقيق المحبوب ينال، بضعفه وعجزه، عطف الآخرين ورعايتهم، فيحصل ببيكائه على مطالبه، ويخضع له الأقوياء والسلاطين، فينال بما لديه من ضعف ما لا يمكن أن يحققه بقوته المحدودة، حتى ليتمكن بإصبعه الصغيرة من التأثير في الكبار، وينقاد له الملوك والأمراء. فلو جحد ذلك الطفل هذا العطف، واتّهم تلك الرعاية، وقال متغطرًا مغرورًا: "أنا الذي أخضعتُ هؤلاء بقوتي وإرادتي!"، لاستحق بلا شك أن يُقَابَل بالزجر والعقوبة. وكذلك حال الإنسان حين ينكر رحمة خالقه ويتهم حكيمته، ويقول كما قال قارون جاحدًا النعمة: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص:78]، فإنه يعرّض نفسه للعقاب. فالمكانة والقدرة التي يتمتع بها الإنسان، وما وصل إليه من ترقٍ حضاري، ليست ثمرة تفوقه الذاتي أو قوة حجته وهيمته، بل هي منحة إلهية، مُنحت له لضعفه، وأُعين بسبب عجزه، وأُكرم لفقره واحتياجه. فليست قوته ولا علمه هما اللذان ألبساه الحرير من دودة صغيرة أو أطعمته العسل من حشرة سامة، وإنما ذلك كله أثر التسخير الرباني والإكرام الرحماني، ورحمة الله التي سخّرت له الموجودات وأخضعتها لخدمته رغم ضعفه وعجزه. (النورسي،

(2000:370)

الفكرة الرئيسية: الإنسان في حقيقته ضعيف عاجز، وما يبلغه من قدر ومكانة وما يحظى به من نعم ليس نتيجة قوته الذاتية أو علمه، وإنما هو بفضل رحمة الله وتسخيره للموجودات لخدمته، وإنكار هذا الفضل يورث الغرور ويستوجب العقوبة.

الأفكار الفرعية:

1. تشبيه الإنسان بالطفل الضعيف: كما أن الطفل ينال رعاية الكبار لا بقوته، بل بضعفه، كذلك الإنسان ينال معونة الله ورعايته لعجزه وفقره.

2. إدانة الجحود والغرور: إنكار الطفل لشفقة الآخرين يُعد حماقة تستوجب العقاب، وكذلك الإنسان إذا أنكر رحمة الله واتهم حكيمته كما فعل قارون.

3. مصدر النعم الحقيقية: ما وصل إليه الإنسان من سلطان وحضارة ليس ثمرة علمه أو قدرته، بل نتيجة رحمة الله وتسخيره للكائنات من حوله.

4. إبراز مظاهر الضعف البشري: الإنسان رغم تقدمه يبقى عاجزاً أمام مخلوقات صغيرة كالعقرب والنحلة، مما يبرهن حاجته الدائمة لعون الله.

الرسالة الكامنة: الاعتراف بالضعف والافتقار إلى الله هو أساس الشكر والتواضع، أما الغرور بقدرات الذات فهو سبب للهلاك وسقوط الحضارات.

على سبيل المثال، ذكر الجصاص معلماً من معالم الشفقة فقال: هي رقة القلب. (الرازي، 1994:345)
يرى الترمذي أن الشفقة ضدها العداوة، كما أنه يرى أن والشفقة تكون من المشفق بثلاثة أشياء: أحدها: بتذكرة منزلة المؤمنين عند الله وكرامتهم عليه، والثاني: بتذكرة حاجته إلى معونة المسلمين والمؤمنين إياه لما يعلم أنه وحده ضعيف ولا يقدر أن يحكم أمر دينه إلا بمعونتهم إياه، والثالث: بتذكرة حاجته إلى شفاعتهم يوم القيامة ويجوز أن يكون نجاته بشفاعتهم. (الترمذي، 1410:6) يقول الإمام النورسي: إنَّ سيِّداً عظيماً وأمراً حاكماً ينظر إلى رعاياه نظر الأبوة. أي يشفق عليهم شفقة الوالد. فإن كان ذلك الأمر سلطاناً روحانياً، ظاهراً وباطناً، فرحمته تزداد حينئذ عن

شفقة الأب أضعافاً مضاعفة. والأفراد بدورهم ينظرون إليه نظر الوالد، كأنهم أولاد حقيقيون له، وحيث إن نظر الأبوة من الصعوبة انقلابه إلى نظر الزوج، ونظر البنت أيضاً لا يتحول بسهولة إلى نظر الزوجة، لذلك وجد العامة حرجاً في تزوج النبي ﷺ بنات المؤمنين، والقرآن الكريم يصحح مفاهيمهم قائلاً: إن النبي يشفق عليكم ويعاملكم معاملة الأب، وينظر إليكم باسم الرحمة الإلهية، فأنتم كالأبناء بالنسبة للرسالة التي يحملها. ولكن ليس هو أباكم باعتبار الشخصية الإنسانية، لكي يقع الحرج في الأمر: أمر الزواج. وحتى لو خاطبكم بيا أبنائي وأولادي فأنتم لستم أولادَه وفق الأحكام الشرعية، فلا تكونون أولاده فعلاً. (النورسي، 2002: 35)

وللمشفق ثلاثة علامات: أولها: أن لا يحب العداوة، والثاني: لا يحب الحسد، والثالث: لا يحب المبادرة ولا الطعنة. (الترمزي، 6:1410) وثلاثة أشياء من فعال المشفق: أولها: اللطف، والثاني: الحلم، والثالث: يحب كل مسلم. (الترمزي، 6:1410) يقول الإمام النورسي: تُرى مَنْ غَيْرُ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ يَعْرِفُ خَلِجَاتِ قُلُوبِنَا، وَمَنْ غَيْرُهُ يَعْلَمُ خَفَايَا صَدُورِنَا، وَمَنْ غَيْرُهُ قَادِرٌ عَلَى إِنْارَةِ الْمُسْتَقْبَلِ لَنَا بِخَلْقِ الْآخِرَةِ، وَمَنْ غَيْرُهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْقِذَنَا مِنْ بَيْنِ أَلُوفِ أَمْوَاجِ الدُّنْيَا الْمُتَلَاظِمَةِ بِالْأَحْدَاثِ؟! حَاشَ لِلَّهِ وَكَأَلَا أَنْ يَكُونَ لَنَا مَنِجٌ غَيْرُهُ وَمَخْلَصٌ سِوَاهُ، فَهُوَ الَّذِي لَوْلَا إِرَادَتُهُ النَّافِذَةُ وَلَوْلَا أَمْرُهُ الْمَهِيمُنْ لَمَا تَمَكَّنَ شَيْءٌ أَيْنَمَا كَانَ وَكَيْفَمَا كَانَ أَنْ يَمِدَّ يَدَهُ لِيُغِيثَ أَحَدًا بِشَيْءٍ!.

فما دامت هذه حقيقةً وضعنا فما علينا إلا أن نرفع أكف الضراعة إليه سبحانه متوسلين. مستعطفين نظراً لرحمته الربانية إلينا، إقتداءً بسر تلك المناجاة الرائعة التي سخّرت الحوت لسيدنا يونس عليه السلام كأنه غواصة تسير تحت البحر، وحوّلت البحر متنزّه جميل، وألبست الليل جلاباب النور الوضيء بالبدر الساطع. فنقول: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87] فنلفت بها نظر الرحمة الإلهية إلى مستقبلنا بقولنا: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ ونلفتها إلى دنيانا بكلمة: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ ونرجوها أن تنظر إلى أنفسنا بنظر الرأفة والشفقة بجملة: ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، كي يعمّ مستقبلنا نور الإيمان وضياء بدر القرآن، وينقلب رعب ليلنا ودهشتُه إلى أمن الأُنس وطمأنينة البهجة.

مناقشة وتحليل لما قاله الإمام النورسي: تظهر من خلال المناقشة ثلاث نقاط رئيسة حول مسألة الشفقة والرحمة، وهي كالآتي:

أولاً: الشفقة كأساس تربوي في بناء الحياة الاجتماعية عند النورسي

- الشفقة في التصور الإسلامي، كما عرضها الجصاص والترمذي، ليست عاطفة عابرة، بل قيمة تربوية تُنشئ الفرد على الرقة، اللطف، الحلم، وكراهية العداوة والحسد. هذه القيم هي لبنات أساسية في بناء الشخصية المسلمة.
- الإمام سعيد النورسي يعمق هذا البعد حين يربط الشفقة بمقام النبوة، حيث يعامل النبي ﷺ المؤمنين برحمة الأبوة الروحية، دون أن يعني ذلك أبوة النسب. هذا التفريق التربوي يصحح المفاهيم ويربي المجتمع على الفهم الصحيح للقدوة النبوية.
- الدعاء والمناجاة (كما في مناجاة يونس عليه السلام) تُعد أداة تربوية تغرس في القلب معنى الافتقار إلى الله، وتُعلم الفرد كيف يوجّه قلبه بالشفقة على نفسه والغير عبر اللجوء إلى الله.

ثانياً: الشفقة كدعامة نفسية في تأسيس الحياة الاجتماعية عند النورسي

- الشفقة تعالج مشاعر العداوة والحسد والطعن التي تمرّق النفس، فتتحول إلى نفس مطمئنة قوامها اللطف والحلم وحب الخير للغير.
- رؤية النورسي لله باعتباره المنقذ الوحيد تعطي الإنسان أماناً داخلياً في مواجهة أزمات الحياة ومخاوف المستقبل. هذا البعد النفسي يعزّز الثقة بالله ويقلل من القلق الوجودي.
- المناجاة القرآنية ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87] تعمل على إعادة التوازن النفسي، حيث تُوجّه الإنسان للاعتراف بالخطأ، ومن ثم طلب الرحمة، فيتحوّل القلق إلى طمأنينة، واليأس إلى أمل.

ثالثاً: الشفقة كركيزة لبناء التماسك الاجتماعي عند النورسي

- الشفقة قيمة تبني الروابط الاجتماعية على أسس قوية، إذ إن الفرد المشفق لا يحب العداوة ولا الحسد ولا التعدي، بل يفضل التعاون والإيثار. وهذا يخلق شبكة من العلاقات المتينة داخل المجتمع.

- النبي ﷺ يمثل نموذج القيادة الاجتماعية القائمة على الشفقة، فمعاملته للأمة معاملة الأبوة الروحية تُؤسس لقاعدة الاحترام والتبعية الطوعية في المجتمع.
- غياب الشفقة يجعل المجتمع عرضة للتفكك والصراعات، بينما وجودها يحوّل العلاقات إلى رحمة متبادلة تحفظ للجماعة وحدتها وتماسكها.
- الدعاء الجماعي والاستغاثة بالله كما في مثال سيدنا يونس عليه السلام يُعدّ بعداً اجتماعياً جامعاً، حيث يلتقي الأفراد على تربية قلوبهم بالافتقار إلى الله، ما يعزز التضامن الروحي والاجتماعي في آن واحد.

الخلاصة

الشفقة في رؤية النورسي ليست مجرد فضيلة فردية، بل هي أساس تربوي للنشأة السليمة، ودعامة نفسية للاستقرار الداخلي، وركيزة اجتماعية لحماية الأمة من التفكك. وبذلك تتكامل مع مشروعه في تأسيس الحياة الاجتماعية على الرحمة والإيمان والارتباط بالله، لتصبح الشفقة عنصراً محورياً في بناء الفرد والأسرة والمجتمع.

المبدأ الثالث: الابتعاد عن الحرام:

إنّ من أعظم الأسس التي يقوم عليها العمران البشري وتستقيم بها الحياة الاجتماعية: التزام الحلال واجتناب الحرام. فالحرام – بمختلف صورته – لا يقف أثره عند حدود الفرد فحسب، بل يتعداه إلى المجتمع كلّهُ؛ إذ يُضعف الثقة بين الناس، ويُهدّد أواصر التعاون، ويزرع الشحناء والبغضاء. ومن هنا، كان الابتعاد عن الحرام معلماً راسخاً من معالم الحياة الاجتماعية السويّة، يُحصّنّها من الانهيار ويجعلها قائمة على الطمأنينة والعدل.

وبناءً على ذلك، فإنّ التزام الحلال والابتعاد عن الحرام ليس مجرد عبادة فردية، بل هو نظام حياة يُنظّم العلاقات، ويصون الحقوق، ويحفظ المصالح العامة. كما أنّه يعكس صورة المجتمع المسلم المتماسك، الذي يُقدّم المثل العملي في الطهارة والنزاهة، ويُسهّم في تحقيق الاستقرار والازدهار.

لذلك، روي عن مجاهدٍ، في قوله: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ [النور: 1] يقول: "فَرَضْنَا فِيهَا الْأَمْرَ بِالْحَلَالِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْحَرَامِ" (المخزومي، 1989:489) وأخرج الترمذي عن خولة الأنصارية قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يَا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلُوٌّ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسِهِ، بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسِهِ، لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى».) (الدارمي، 2000:1809) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَرُبُّ مَتَّخِضٍ¹ فِي مَالِ اللَّهِ، وَمَالِ رَسُولِهِ، لَهُ النَّارُ يَوْمَ يُلْقَى اللَّهُ». (مسند الإمام أحمد، رقم الحديث: 27054)، يبحث هذا الحديث على طلب الحلال من الكسب ويحذر على الابتعاد عن الحرام روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمُرءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنَ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ» (الجامع الصحيح، رقم الحديث: 1977) وروى البخاري أيضاً عن المقداد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده». (البخاري، رقم الحديث: 2081)

استمراراً في هذا المعنى، قال أبو عبيد: في حديث الزُّهري أنه سُئِلَ عَنِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا فَقَالَ: هُوَ أَنْ لَا يَغْلِبَ الْحَلَالَ شُكْرَهُ وَلَا الْحَرَامَ صَبْرَهُ (الجرجاني، 1979:386) وَقَالَ أَبُو عبيد: مَذْهَبُهُ عِنْدِي أَنَّهُ أَرَادَ إِذَا أُنْعِمْتَ عَلَيْهِ نِعْمَةً مِنَ الْحَلَالِ كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الشُّكْرِ لِلَّهِ مَا يَقُومُ بِتِلْكَ النِّعْمَةِ حَتَّى لَا يَعْجِزَ شُكْرُهُ عَنْهَا وَإِذَا عَرِضَتْ لَهُ فِتْنَةٌ مِنَ الْحَرَامِ كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الصَّبْرِ مَا يَمْنَعُ نَفْسَهُ مِنْهَا فَلَا يَرْكَبُهَا. فَهَذَا عِنْدَ الزُّهري مِنَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، الشُّكْرُ عَلَى النِّعْمَةِ فِي الْحَلَالِ وَالصَّبْرُ عَلَى تَرْكِ الْحَرَامِ. (البغدادي، 1974:476) وبالتالي فإن الإمام النورسي يرى أن دائرة الحلال واسعة فسيحة، تكفي للراحة والسعادة والسرور؛ فلا داعي للولوج في الحرام (النورسي، 2010:25) وأكد على هذه النقطة في مكان آخر فقال: إن اللذات والأذواق التي يحصل عليها الإنسان عن طريق السعي الحلال ضمن الدائرة المشروعة كافية لسعادته وهنائه وراحته فلا يدعُ مجالاً للدخول في الحرام. (النورسي، 2010:369)

¹ المتخوض: هو الذي يأخذ المال من غير حله أو من غير وجهه.

المبدأ الرابع: الحفاظ على الأمن

يُعَدُّ الأمنُ الركيزةَ الكبرى التي تقوم عليها الحياةُ الاجتماعية السليمة، فهو السياجُ الحافظُ للأنفس والأعراض والأموال، وبدونه تختلُّ مسيرة العمران البشري وتضطرب العلاقات بين الأفراد والجماعات. إنَّ الحفاظَ على الأمن لا يعني مجرد منع الجرائم والاعتداءات، بل يتجاوز ذلك إلى ترسيخ الطمأنينة في النفوس، وإشاعة الثقة المتبادلة، وبناء الاستقرار الذي يُمكن المجتمعات من تحقيق التنمية والازدهار. وقد أكَّدت الشريعة الإسلامية على قيمة الأمن حين جعله الله تعالى من أعظم اليَعَم، فقال سبحانه: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قرينش: 3-4]. ومن هنا يتبيَّن أنَّ الحفاظ على الأمن ليس واجباً شرعياً فحسب، بل هو ضرورة اجتماعية تضمن استمرار حياة الناس في انسجام وتكامل.

يقول الإمام النورسي رحمه الله: لقد ورد إلى القلب: أنه حيال إهانتنا والاستخفاف بنا بحجة إخلالنا بالأمن العام، وإزاء صرف إقبال الناس عنا بالمعاملات الدينية التي يقوم بها أشخاص معدودون من المغرَّ بهم.. فإن هناك الترحيب الحار والتقدير اللائق لنا من قبل أهل الحقيقة وأبناء الجيل القادم. نعم، في الوقت الذي تنشط الفوضى والإرهاب المتسَّتر بستار الشيوعية للإخلال بالأمن العام، فإن طلاب «رسائل النور» يوقفون ذلك الإفساد المرعب، في جميع أرجاء البلاد ويكسرون شوكتَه بقوة الإيمان التحقيقي، ويسعون حثيثاً لإحلال الأمن والنظام مكان الخوف والفوضى. فلم تظهر في العشرين سنة السابقة أيةُ حادثة كانت حول إخلالهم بالأمن، رغم كثرة طلاب النور وانتشارهم في جميع أنحاء البلاد، فلم يجد ولم يسجل عليهم أحدٌ من الضباط المسؤولين حدثاً، في عشر ولايات وعبر حوالي أربع محاكم ذات علاقة، بل لقد قال ضباطٌ منصفون لثلاث ولايات: «إن طلاب النور ضباط معنويون للأمن في البلاد، إنهم يساعدوننا في الحفاظ على الأمن والنظام لما يجعلون من فكر كل من يقرأ «رسائل النور» بالإيمان التحقيقي حارساً ورفيقاً عليه فيسعون بذلك للحفاظ على الأمن العام. (النورسي، 2012:400)

للتعليل والاستنتاج، يقول الإمام النورسي فيما معناه: يتجلى اسم الحفيظ والرفيق عند النورسي في مظاهر دقيقة تبين إحاطة الحفظ الإلهي وشموله؛ إذ يحفظ الله تعالى الموجودات كلها صغيرها وكبيرها بنظام دقيق وميزان محكم. وكما يشمل هذا الحفظ الكائنات والظواهر الطبيعية، فإنه بالضرورة يشمل أعمال الإنسان

الذي كرمه الله بالخلافة وحمله أمانة كبرى. ويظهر ذلك في حفظ صور الأشياء بعد فنائها وتسجيلها في "ألواح محفوظة" طبيعية كالأذهان والثمار والبذور، التي تشهد على دوام الحفظ وإحاطته. ويرى النورسي أن مشهد الربيع وتجدد الحياة من البذور دليل بليغ على الحفيظية الإلهية، إذ لا يُعقل أن يحفظ الله مظاهر عابرة كالنباتات، ثم يُهمل أعمال الإنسان ذات الأثر العميق في الدنيا والآخرة. ومن ثم، فإن هذا الحفظ الشامل يؤكد حتمية وجود سجل للأعمال ومحاسبة دقيقة للإنسان في يوم القيامة، حيث لا يمكن أن يُترك هذا المخلوق المكرّم دون سؤال أو حساب. كما أن تعاقب الفصول، ولا سيما تجدد الحياة بعد الشتاء، يمثل برهاناً آخر على القدرة الإلهية في البعث والنشور. (النورسي، 2012:83)

أولاً: الأساس العقدي لمفهوم الأمن في ضوء تجليات اسمي الحفيظ والرقيب

يربط النورسي بين مبدأ الأمن وتجلي اسمي الحفيظ والرقيب، حيث يؤكد أن الله تعالى يحفظ الكون كله بنظام محكم، ومن باب أولى يحفظ أعمال الإنسان ويحاسبه عليها. هذا الوعي العقدي يغرس في طلاب «رسائل النور» يقيناً بأن أعمالهم مرصودة، وأنهم مسؤولون أمام الله عن حفظ الأمن والنظام. وهنا يظهر الأساس العقدي لمفهوم الأمن عند النورسي، فهو ليس مجرد مصلحة اجتماعية، بل امتداد لعقيدة الحفظ الإلهي الشامل.

ثانياً: الحفيظية والإيمان التحقيقي أساس الرقابة الذاتية وصون الأمن الاجتماعي

هذا الإيمان بالحفيظية يولد لدى الفرد شعوراً بالرقابة الذاتية والطمأنينة الداخلية. فبدلاً من أن يعيش الإنسان تحت ضغط المراقبة الخارجية أو تهديد العقوبات الدنيوية، يصبح إيمانه التحقيقي هو الحارس والرقيب على سلوكه. وهكذا يتحول الحفاظ على الأمن من التزام مفروض بالقوة إلى قناعة نفسية راسخة، تمنح الفرد السكينة وتقلل من نزعات الفوضى والعنف.

ثالثاً: الأمن العام القائم على التربية الإيمانية في فكر النورسي

انعكس هذا المبدأ عملياً على حياة طلاب النور، إذ كانوا نموذجاً للأمن الاجتماعي، فلم يُسجّل عليهم إخلال بالنظام رغم انتشارهم الواسع لعقود. بل اعتبرهم بعض الضباط "ضباطاً معنويين للأمن" لأنهم يربّون

أفراد المجتمع على الانضباط الذاتي. وهذا يصبح الأمن العام أحد أسس الحياة الاجتماعية في فكر النورسي، إذ يقوم على التربية الإيمانية لا على القهر السلطوي، ويغدو المجتمع بأسره شبكة من الرقابة الذاتية القائمة على الوعي الروحي.

الخلاصة:

من خلال هذا المبدأ، يظهر أن الأمن في رؤية النورسي ليس قيمة سياسية فحسب، بل هو أساس اجتماعي متجذر في العقيدة (الحفيظ والرقيب)، مغروس في النفس (المراقبة الذاتية)، ومتحقق في الواقع (سلامة المجتمع). وبذلك يتكامل مع العنوان الرئيسي «أسس الحياة الاجتماعية عند الإمام النورسي» باعتباره ركيزة من ركائزها.

المبدأ الخامس: نبذ الفوضى والغوغائية، والدخولُ في الطاعة.

إنّ نبذ الفوضى والغوغائية، والدخول في الطاعة يعدّ من أهمّ الركائز التي يقوم عليها استقرار المجتمعات ودوام أمنها وسلامها. فالفوضى ليست مجرد اضطرابٍ في النظام، بل هي باب واسع للظلم، وضياع الحقوق، وتفكك الروابط الاجتماعية، إذ تُضعف ثقة الناس في مؤسساتهم، وتزرع الشك والريبة بينهم. ومن هنا جاءت الشريعة الإسلامية لتؤكد على قيمة النظام والطاعة في المعروف، باعتبارهما ضماناً لحفظ الدين، والنفس، والمال، والعرض، والعقل. كما أنّ التاريخ الإنساني يشهد أنّ كلّ مجتمعٍ أهمل هذا الأصل العظيم كان مآله الاضطراب والانهيار، بينما الأمم التي التزمت بالانضباط والطاعة الشرعية استطاعت أن تحقّق الاستقرار والتنمية، وتصون كرامة الإنسان. ومن ثمّ، فإنّ هذا المبدأ يشكّل أساساً للحياة الاجتماعية الرشيدة، ويضمن السير في طريق العمران والازدهار.

ومن باب الإضافة والتوسع، تأتي كلمة الفوضى لتدل على الاختلاط، يقال: نَعَامٌ فَوْضَى، بالضاد

معجمة: أي مختلط بعضها ببعض. ويقال: الناسُ فَوْضَى: أي مختلطون سواء، لا أمير عليهم، قال الأَفْوَهُ الأُودِيّ:

لا يصلح الناسُ فَوْضَى لا سَرَآةَ لهم ... ولا سَرَآةَ إذا جُهِلهم سادُوا. (اليميني، 1999:5277)

ومن هنا، تأتي كلمة فَوْضَوِيَّ للمفرد، وهو اسم منسوب إلى فَوْضَى، لتدل على كل من يعتنق الفوضويّة.

فمن يمارس حالة الفَوْضَى، هو شخص مضطرب غير منتظم، وهو رجل فَوْضَوِيٌّ. (أحمد مختار، 2008:1753)

يجدر بالذكر، أنّ الدليل الأبرز على أن رسائل النور في رؤيتها للحياة الاجتماعية قد التزمت ترسيخ الأسس الخمسة وصيانتها بجديّة، محافظة بذلك على الركيزة الأساسية لأمن البلاد، هو أنها خلال عشرين عامًا استطاعت أن تُكوّن أكثر من مئة ألف عضوٍ صالح، نافعين للبلاد والعباد من غير أن يلحق بهم أو بالأخريين أي أذى أو ضرر. وتُعدّ محافظتنا إسبارة وقسطموني خير شاهدٍ على صدق هذا القول (النورسي، 2021:407)

وفي هذا السياق، يرى الإمام النورسي رحمه الله أن مبدأ "الوحدة في القيادة" يمثل أساساً حاسماً في بناء القوة الجماعية؛ والدولة التي تُدار تحت سلطان واحد قادرة على حشد طاقة معنوية هائلة، بحيث يقف جيش كامل منضبطاً خلف كل جندي من جنوده. فذلك الجندي الفرد، بفضل انتمائه إلى سلطة موحدة، يستطيع أن يتفوّق على قائد عظيم في صفوف الأعداء، بل قد يمتد تأثيره - باسم سلطانه - إلى من هو أعلى مرتبة من ذلك القائد. ومن جهة أخرى، فإن السلطان الواحد، كما يوظف فرداً أو جندياً في مهمة معينة، فإنه - بمقتضى سرّ الواحدية السلطانية - يتولى تدبير أمور جميع موظفيه وجنوده، ويرسلهم كأنهم طاقة متضافرة لإمداد أي فرد من رعيته. وهكذا يتمكن كل عضو في المجتمع من الاستناد إلى قوة المجموع، واستمداد العزم منهم. غير أنّه إذا فُكّت روابط هذه الواحدية وتحولت السلطنة إلى فوضى سائبة، فإن الفرد - مهما بلغ موقعه - يفقد دفعة واحدة قوته غير المحدودة، وينحدر من مرتبة النفوذ والفاعلية إلى مستوى الشخص الاعتيادي، مما يؤدي حتماً إلى تفكك النظام وظهور مشكلات إدارية وتنظيمية بعدد الأفراد القائمين على شؤون الدولة. (النورسي، 2012:320) وبناءً على ذلك، فلا بد من الخضوع لطاعة الله سبحانه وتعالى، ذلك الذي تخضع له وتطيعه جميع المخلوقات، صغيرها وكبيرها. يقول رحمه الله: ما دام أن أعظم الأشياء يتساوى مع أصغرها، وما لا يعدُّ شيئاً يظهر كالشيء الواحد في هذا الكون والموجودات الاعتيادية - وهي في حقيقتها ناقصة وفانية - وذلك لما أودع الله فيها من «نورانية» و«شفافية» و«انتظام» و«امتثال» و«موازنة»، فإن القليل والكثير، والصغير والكبير، يتساوون جميعاً أمام القدرة المطلقة. ولهذا يكون جمع الخلق كلهم بصيحة واحدة كحشر فرد واحد، وذلك بفضل التجليات «النورانية» المطلقة لقدرة الله الذاتية الكاملة، وبفضل ما في الأشياء من «شفافية» ملكوتية، و«انتظام» قائم على الحكمة

والقدرة، و«امتثال» تام لأوامره التكوينية، وسرّ «موازنة» الإيمان الذي يجعل الممكنات متساوية بين الوجود والعدم. (النورسي، 2012:99)

1. الإيمان كمدخل إلى السكينة في مواجهة الفوضى

- الفوضى والغوغائية تولّدان القلق والاضطراب الداخلي لدى الأفراد، إذ يشعر المرء أنه يعيش في بيئة غير مستقرة.
- الطاعة لله عز وجل، كما يوضح النورسي، تمنح الإنسان السكينة والطمأنينة؛ لأنه يستند إلى قوة مطلقة تحكم الكون كله بانتظام.
- هذا الإيمان يجعل الفرد أكثر استقرارًا نفسيًا، وأقل عرضة للانجراف وراء العشوائية أو التمرد غير المنضبط.

2. رسائل النور: نموذج تربوي لغرس المسؤولية والانضباط

- التربية القائمة على نبذ الفوضى تعلّم الفرد الانضباط الذاتي والقدرة على تنظيم وقته وجهده.
- الطاعة لله، كما صوّرها النورسي، تعني أن كل أعمال الإنسان تخضع لميزان العدالة والحكمة، وهذا يرسّخ في المتعلم قيمة المسؤولية الفردية.
- رسائل النور قدّمت نموذجًا عمليًا حين كوّنت عشرات الآلاف من الطلاب النافعين للمجتمع دون أن يُسجّل عليهم إخلال بالأمن، وهو دليل على نجاح التربية الإيمانية في تكوين أفراد منضبطين.

3. الوحدة والنظام أساس قوة المجتمع

- الفوضى تُضعف قوة الجماعة وتجعل كل فرد معزولًا غير قادر على مواجهة التحديات، كما شبّه النورسي حالة السلطنة إذا فقدت وحدتها.
- الطاعة لله وتوحيد الوجهة يمنح المجتمع قوة معنوية جماعية، بحيث يصبح كل فرد مسنودًا بقوة الجماعة لا مجرد طاقة فردية.

- بذلك يتحول المجتمع إلى شبكة متماسكة يسودها النظام، ويُستبدل الخوف والفضى بالأمن والاستقرار.

خلاصة:

من منظور النورسي، نبذ الفوضى والدخول في الطاعة ليس مجرد مطلب إداري أو سياسي، بل هو أساس نفسي وتربوي واجتماعي للحياة المستقرة. فالطاعة لله تولد الطمأنينة في النفس، وتغرس الانضباط في التربية، وتبني وحدة متينة في المجتمع، وهو ما يجعلها ركيزة من ركائز أسس الحياة الاجتماعية.

خاتمة البحث

خلص هذا البحث إلى أنَّ أسس ومعالم الحياة الاجتماعية في فكر الإمام سعيد النورسي تبنى على ركيزة الإيمان بالآخرة، إذ يُعدّ هذا الإيمان أساساً متيناً لبناء الفرد والأسرة والمجتمع، بما يحقّقه من مودة ورحمة، وتزكية للنفوس من الأحقاد، وضبط للسلوك على وفق مبدأ الحلال والحرام، وتعزيز للأمن المجتمعي ومقاومة للفوضى بروح الطاعة والانضباط. وقد بيّن التحليل أن هذه المعاني ليست مجرد مبادئ نظرية، بل قواعد عملية قابلة للتفعيل في التربية والمؤسسات والبرامج الإصلاحية. كما تبرز قيمة مشروع النورسي في قدرته على الربط بين الإيمان العميق بالآخرة وبين إصلاح الواقع الاجتماعي والإنساني، الأمر الذي يجعل رؤيته إطاراً حيويّاً لإعادة تشكيل الوعي وبناء نهضة حضارية أصيلة تستند إلى القيم الإيمانية والروحية.

أما نتائج البحث:

1. توصل البحث إلى أن الإمام النورسي يرى أن عقيدة الآخرة هي أسس الحياة الاجتماعية والحياة الشخصية للإنسان وأنها أساس سعادته وكمالاته. (النورسي، 2017:226)
2. يرى الإمام سعيد النورسي أن الحياة الاجتماعية الآمنة تقوم على خمسة مبادئ مركزية: الاحترام المتبادل، الشفقة والرحمة، الابتعاد عن الحرام، الحفاظ على الأمن، ونبذ الفوضى والغوغائية بالطاعة المنضبطة.

3. الأسرة هي النواة الأساسية لبناء المجتمع؛ إذ يشدد النورسي على أن احترام الزوجين لبعضهما وإيمانهم بالأخرة يمدد الروابط الأسرية إلى الأبد، فيجعل العلاقة أكثر عمقًا وثباتًا.
4. يقرر الإمام النورسي رحمه الله أن الشفقة والرحمة ركيزتان تربويتان ونفسيتان؛ فهما تبيان شخصية متوازنة، تربي الفرد على الحلم وكراهية العداوة والحسد، وتضمن وحدة المجتمع وتماسكه.
5. الابتعاد عن الحرام يحفظ المجتمع من الانحلال؛ فالنورسي يرى أن دائرة الحلال واسعة تكفي الإنسان لسعادته، وأن اقتحام الحرام يهدد استقرار الفرد والجماعة.
6. الحفاظ على الأمن غاية شرعية كبرى؛ وقد برهن النورسي من خلال تجربة طلاب رسائل النور أن الإيمان الحقيقي يحوّل الأفراد إلى حراس معنويين للأمن العام.
7. نبذ الفوضى والدخول في الطاعة الشرعية يحفظ المجتمع من الانقسام؛ فالطاعة المنضبطة لله ولرسوله ولأولي الأمر تنشئ نظامًا عادلًا يقطع الطريق على الغوغائية والفوضى.
8. عقيدة الأخرة هي الأساس الأعمق للحياة الاجتماعية والفردية؛ إذ تزرع الخوف من الحساب في القلوب، وتمنع الشباب خصوصًا من التهور والعدوانية، فيتحول الخوف من النار إلى رادع سلوكي يحمي المجتمع.
9. مشروع رسائل النور مثال عملي لفاعلية هذه المبادئ؛ حيث استطاع أن يخرج خلال عقدين مئات الآلاف من الأفراد الصالحين الذين نفعوا المجتمع دون أن يشككوا خطرًا عليه.
10. القيم الاجتماعية عند النورسي مستمدة من الوحي؛ فهي ليست تنظيرًا فلسفيًا مجردًا، بل امتداد لمقاصد القرآن والسنة في بناء العمران البشري على العدل والتعاون والرحمة.
11. الحاجة المعاصرة ملحة لإحياء هذه المبادئ؛ فإعادة تفعيلها تربويًا واجتماعيًا يعزز السلم الأهلي، يقوي الثقة بين أبناء المجتمع، ويصنع مواطنًا صالحًا مسهمًا في وحدة الأمة ونهضتها.

توصيات عملية:

1. يوصي البحث بضرورة تعزيز التربية الأسرية القائمة على الإيمان بالأخرة، لما لذلك من أثر في ترسيخ المودة والرحمة بين أفراد الأسرة، وضمان استقرارها على أسس روحية راسخة.

2. يوصي البحث بضرورة إدماج قيم الشفقة والرحمة في المناهج والبرامج التربوية، بما يساهم في تنشئة جيل متوازن يتبعد عن الحسد والعداوة، ويؤمن بالتعاون والمشاركة المجتمعية.
3. يوصي البحث بضرورة إطلاق مبادرات شبابية توعوية حول أهمية الحلال وخطر الحرام، عبر الأنشطة العملية وحملات التثقيف الديني والاجتماعي، بما يرسخ الانضباط الأخلاقي ويحمي الأفراد من الانحراف.
4. يوصي البحث بضرورة ترسيخ ثقافة الأمن المجتمعي المبني على الوازع الإيماني، بحيث يتكامل دور الفرد مع المؤسسات الرسمية، ويصبح كل مواطن رقيباً على نفسه بما يعزز الاستقرار والأمن العام.
5. يوصي البحث بضرورة مواجهة الفوضى بالتربية على الطاعة المنضبطة، عبر غرس قيم الطاعة لله ورسوله وأولي الأمر، بما يضمن وحدة الصف المجتمعي ويحصنه من الفتن والانقسامات.
6. يوصي البحث بضرورة إجراء دراسات معمقة حول فكر الإمام سعيد النورسي، وتحليل منهجه في معالجة القضايا الاجتماعية والتربوية، وربطها بواقع المجتمعات الإسلامية المعاصرة، للاستفادة من رؤيته الإصلاحية في مشاريع النهضة الفكرية والاجتماعية.

References

1. 'Abd al-Qādir ibn Millā Ḥuwayyish al-Sayyid Maḥmūd Āl Ghāzī al-Ānī. *Bayān al-Ma'ānī [Murattab Ḥasb Tartīb al-Nuzūl]*. Damascus: Maṭba'at al-Taraqqī, 1st ed., 1382 AH/1965 CE.
2. Abū Muḥammad 'Abd Allāh ibn 'Abd al-Raḥmān ibn al-Faḍl ibn Bahram ibn 'Abd al-Ṣamad al-Dārimī al-Tamīmī al-Samarqandī, **Musnad al-Dārimī al-ma'rūf bi-Sunan al-Dārimī**, taḥqīq Ḥusayn Salīm Asad al-Dārānī, (al-Mamlakah al-'Arabiyyah al-Sa'ūdiyyah: Dār al-Mughnī li-al-Nashr wa-al-Tawzī', 1, 1412H/2000M).

3. Abū 'Ubayd al-Qāsim ibn Sallām ibn 'Abd Allāh al-Harawī al-Baghdādī (d. 224 AH). *Gharīb al-Ḥadīth*. Ed. Muḥammad 'Abd al-Mu'īd Khān. Hyderabad al-Dakkan: Maṭba'at Dā'irat al-Ma'ārif al-'Uthmāniyyah, 1st ed., 1384 AH/1964 CE.
4. Aḥmad ibn 'Alī Abū Bakr al-Rāzī al-Jaṣṣāṣ. *Aḥkām al-Qur'ān*. Ed. 'Abd al-Salām Muḥammad 'Alī Shāhīn. Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1st ed., 1415 AH/1994 CE.
5. Aḥmad ibn Ḥanbal, Abū 'Abd Allāh Aḥmad ibn Muḥammad ibn Ḥanbal al-Shaybānī, **Musnad al-Imām Aḥmad ibn Ḥanbal**, taḥqīq Shu'ayb al-Arna'ūt, 'Ādil Murshid, wa-ākharūn, ishraf 'Abd Allāh ibn 'Abd al-Muḥsin al-Turkī, (Beirut: Mu'assasat al-Risālah, T1, 1421H/2001M).
6. Aḥmad Mukhtār 'Abd al-Ḥamīd 'Umar. *Mu'jam al-Lughah al-'Arabiyyah al-Mu'āṣirah*. With a team of assistants. Cairo: 'Ālam al-Kutub, 1st ed., 1429 AH/2008 CE.
7. al-BuKḥārī, Abū 'Abd Allāh Muḥammad ibn Ismā'īl al-Ḡu'fī. **al-Ḡāmi' al-Ṣaḥīḥ**. Taḥqīq Muṣṭafā Dīb al-Buḡā. Dimashq: Dār Ibn Kaṭīr, Dār al-Yamāmah, T5, 1414 H/1993 M.
8. al-Ḥalīmī, Abū 'Abd Allāh al-Ḥusayn ibn al-Ḥasan ibn Muḥammad ibn Ḥalīm al-Buḥārī al-Ḡurḡānī. **al-Minhāḡ fi Ṣu'ab al-Īmān**. Taḥqīq Ḥilmī Muḥammad Fūda. Bayrūt: Dār al-Fikr, T1, 1399 H/1979 M.
9. al-Jāhīz, 'Amr ibn Baḥr ibn Maḥbūb al-Kinānī bi-l-Walā', al-Laythī, Abū 'Uthmān. **al-Rasā'il al-Adabiyyah**. Beirut: Dār wa-Maktabat al-Hilāl, 2nd ed., 1423 AH.
10. Badi' al-Zamān Sa'īd al-Nūrsī. *Al-Kalimāt*. Trans. Iḥsān Qāsim al-Ṣāliḥī. Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣriyyah, 3rd ed., 1421 AH/2000 CE.
11. Badi' al-Zamān Sa'īd al-Nūrsī. *Al-Lama'āt*. Trans. Markaz al-Tarjamah wa-l-Buḥūth al-'Ilmiyyah. İstanbul: Hayrat publishing, 2012 CE.

12. Badi' al-Zamān Sa'īd al-Nūrsī. *Al-Maktūbāt*. Trans. Markaz al-Tarjamah wa-l-Buḥūth al-'Ilmiyyah. İstanbul: Hayrat publishing, 2012 CE.
13. Badi' al-Zamān Sa'īd al-Nūrsī. *Al-Shu'ā'āt*. Trans. Markaz al-Tarjamah wa-l-Buḥūth al-'Ilmiyyah. İstanbul: Hayrat publishing, 2021 CE.
14. Badi' al-Zamān Sa'īd al-Nūrsī. *Aṣḥā Mūsā*. Trans. Markaz al-Tarjamah wa-l-Buḥūth al-'Ilmiyyah. İstanbul: Dār al-Khayrāt li-l-Nashr, 1st ed., 1439 AH/2017 CE.
15. Muḥammad ibn 'Alī ibn al-Ḥasan ibn Bishr al-Tirmidhī, Abū 'Abd Allāh (al-Ḥakīm al-Tirmidhī). *Al-'Aql wa-l-Hawā*.
16. Muḥammad ibn 'Īsā ibn Sawrah ibn Mūsā ibn al-Ḍaḥḥāk al-Tirmidhī, Abū 'Īsā (d. 279 AH). *Sunan al-Tirmidhī*. Eds. Aḥmad Muḥammad Shākir, Muḥammad Fu'ād 'Abd al-Bāqī, Ibrāhīm 'Aṭwah 'Awaḍ. Egypt: Sharikah Maktabah wa-Maṭba'at Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī, 2nd ed., 1395 AH/1975 CE.
17. Mujāhid ibn Jabr al-Makkī al-Qurashī al-Makhzūmī (d. 104 AH). *Tafsīr Mujāhid*. Ed. Muḥammad 'Abd al-Salām Abū al-Nīl. Egypt: Dār al-Fikr al-Islāmī al-Ḥadīthah, 1st ed., 1410 AH/1989 CE.
18. Muslim ibn al-Ḥajjāj ibn Muslim al-Qushayrī al-Naysābūrī. *Al-Jāmi' al-Ṣaḥīḥ*. Ed. Muḥammad Dhahabī Afandī, Ismā'īl ibn 'Abd al-Ḥamīd al-Ṭarābulusī, Aḥmad Rif'at ibn 'Uthmān Ḥilmī al-Qarah Ḥiṣārī, Muḥammad 'Izzat ibn 'Uthmān al-Za'farān Būlīwī, Abū Ni'mat Allāh Muḥammad Shukrī ibn Ḥasan al-Anqarawī. Turkey: Dār al-Ṭibā'ah al-'Āmirah, 1334 AH.
19. Nashwān ibn Sa'īd al-Ḥimyarī al-Yamanī (d. 573 AH). *Shams al-'Ulūm wa-Dawā' Kalām al-'Arab min al-Kulūm*. Eds. Ḥusayn ibn 'Abd Allāh al-'Umrī, Muṭahhar ibn 'Alī al-Iryānī, Yūsuf Muḥammad 'Abd Allāh. Beirut: Dār al-Fikr al-Mu'āṣir; Damascus: Dār al-Fikr, 1st ed., 1420 AH/1999 CE.